

التناقض العقدي عند فخر الدين الرازي في تعريف النبوة وإثباتها وعصمة الأنبياء والتفاضل بين الأنبياء والملائكة

Fakhr al-Din al-Razi's doctrinal contradiction in the definition and proof of Prophecy, the infallibility of the prophets, and the difference between the prophets and the Angels

إعداد

نجلاء بنت مطر المطيري

Najla atar Al-Mutairi

محاضر بقسم الدراسات الإسلامية -كلية التربية -جامعة الملك سعود - مسار العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة

Doi: 10.21608/jasis.2023.294985

استلام البحث ٢ / ٣ / ٢٠٢٣

قبول البحث ٢١ / ٢ / ٢٠٢٣

المطيري، نجلاء بنت مطر(٢٠٢٣). التناقض العقدي عند فخر الدين الرازي في تعريف النبوة وإثباتها وعصمة الأنبياء والتفاضل بين الأنبياء والملائكة. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٧(٢٣)، أبريل ٤٠٩ـ ٤٤٠.

http://jasis.journals.ekb.eg

التناقض العقدي عند فخر الدين الرازي في تعريف النبوة وإثباتها وعصمة الأنبياء والتفاضل بين الأنبياء والملائكة

المستخلص:
يتعرض هذا البحث إلى الإمام فخر الدين الرازي من خلال بيان عقيدة النبوة عنده التي كان لها شأن ظاهر من خلال تصانيفه فقد ألف كتاب النبوات وهو قسم من كتاب المطالب العالية من العلم الإلهي، وكتاب آخر سماه عصمة الأنبياء، ويبحث في تعريف النبوة والفرق بينها وبين الرسالة وبيان حقيقة النبوة من خلال ذكر أقواله فهو متناقض حتى آل به الأمر إلى محاولة التوفيق ويتطرق إلى حكم بعثة الأنبياء بذكر منهج أهل السنة والجماعة وبيان أقوال الرازي وتناقضه فيها إلى طرق إثبات النبوة فانتهج منهجا منطقيا في الاستدلال على النبوة، وهو الاستدلال بأثر على المؤثر، فطريقته متناقضه كما يتعرض لمسألة التفاضل بين الأنبياء والملائكة والتي تعد من المسائل المتأخرة التي كثر الكلام فيها فاضطرب الرازي فيها وبيان تناقضه فيها واستخدامه تأويلات لا تصلح في بيان الأدلة الشرعية.
الكلمات المفتاحية : النبوة – حقيقة النبوة – التفاضل بين الملائكة والأنبياء .

Abstract:
This research deals with Imam Fakhr al-Din al-Razi through explaining the doctrine of prophecy for him which had an apparent significance through his books. He authored the Book of Prophecies, which is a section of the book High Demands of Divine Knowledge, and another book he called The Infallibility of the Prophets. It examines the definition of prophecy, the difference between it and the message, and the statement of the truth of the prophecy by mentioning his sayings for he is contradictory until the matter led him to an attempt to reconcile and deals with the ruling of the mission of the prophets by mentioning the methodology of Ahl al-Sunnah wal Jama`ah and clarifying the sayings of al-Razi and his contradiction in it to the methods of proving the prophecy, so he followed a logical approach in inferring the prophecy, which is inference with an effect on the influencer, so his method is contradictory, as it deals with the issue of differentiation between the prophets and the angels, which is one of the late issues in which there was a lot of talk, so Al-Razi

was confused about it, explaining his contradiction in it, and using interpretations that are not suitable in explaining the legal evidence.

Keywords: prophecy - truth of prophecy - differentiation between angels and prophets.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إلا الله وحدَه لا شريك له، له الملك وله الحمد، أبان الحق وأظهره للعالمين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فإن الله قيض لهذا الدين من يهدي إلى الحق ويبطل الباطل كما قال تعالى:(﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [1]، وحفظ الله جناب العقيدة من الزيغ والضلال الذي سوّقه المتكلمون، وقد كان للرازي أثر كبير في المذهب الأشعري، حيث يعد من المنظرين لمذهب الأشعرية المتفلسفة، وتأثيره كبير على أتباعه من الأشاعرة، ويظهر ذلك من خلال كثرة مؤلفاته وتنوعها وانتشارها بالآفاق، ثم إن المتتبع لكتب الرازي من أولها إلى آخرها يجد تناقضاً في أقواله واختلافا فيها، فلما كان ذلك كذلك رأيت أن من واجب النصيحة والعلم إفراد ذلك بدراسة مستقلة.

مشكلة البحث :

تظهر مشكلة الدراسة في التناقضات العقدية عند الرازي في كتبه المتنوعة، وقد حصل اختلاف وتباين فيها مما يستدعي الوقوف عليها ومعرفة أسباب وقوعه في التناقض، والنظر في أثر هذا التناقض على المذهب الأشعري وعلى المذهب الكلامي فجاءت هذه الدراسة للكشف عن هذه التناقضات العقدية وبيان أسبابها.

أهمية البحث وأسباب اختياره :

١- تعلقت تناقضات الرازي بموضوعات العقيدة وشرف معلومها، إذ يتعلق بالله تعالى وحده وحقه -سبحانه -على عباده .

٢- مكانة الرازي ومؤلفاته بين أتباعه ، وبيان الأثر الذي تركه تراث الرازي على مَن بعده.

٣- كثرة الكتاب المعاصرين الذين يحاولون إحياء ترث الرازي.

أهداف البحث:

١- دراسة حقيقة النبوة عند الرازي وتناقضه فيها .

---

[1] الأنفال: ٨.

٢- بيان طرق إثبات النبوة والعصمة عند الرازي وتناقضه فيها.
٣- بيان حكم بعثة الأنبياء بين الوجوب وعدمه عند الرازي.
٤- دراسة مسألة التفاضل بين الأنبياء والملائكة وتناقضه فيها .

أسئلة البحث :

١- ما منهج الرازي في المسائل العقدية التي تناقض فيها ؟
٢- ما هي طرائق الاستدلال التي استخدمها الرازي؟
٣- ما حقيقة النبوة عند الرازي التي تناقض فيها ؟
٤- ماهي أقوال الرازي في مسألة التفاضل بين الأنبياء والملائكة وأدت إلى تناقضه؟ .

منهج البحث :

سيكون المنهج المتبع في هذا البحث –إن شاء الله تعالى- المنهج الاستقرائي الاستنتاجي النقدي .

حدود البحث:

تناقضات الرازي العقدية في النبوات في كتب الرازي المطبوعه كلها.

مصطلحات البحث:

التناقض: هو تقابل الدليلين المتساويين على وجه لا يمكن الجمع بينهما بوجه، ويسمى بالتعارض والمعارضة[٢].

العقدية: الاعتقاد هو الإقرار بالتصديق والالتزام[٣]. والعقيدة الإسلامية تعني الإيمان الجازم بالله -تعالى- وما يجب له من التوحيد والطاعة، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وسائر ما ثبت من أمور الغيب والأخبار والقطعيات علمية كانت أو عملية[٤].

النبوة لغة: مصدر، والاسم منه نبي، والنبي مأخوذ من النبأ بمعنى الخبر، وهو من أنبأ عن الله أي: أخبره، كما قال تعالى: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (*) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) [النبأ: ١-٢]، أو مشتق من النُّبوة والنباوة وهي العلو والارتفاع من الأَرض؛ لارتفَاع قدره، ولأنه شرف على سائر الخلق[٥].

النبوة في الاصطلاح الشرعي: النبي: "هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأه الله به[٦]".

خطة البحث : يشمل على :

---

[٢] انظر كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد علي التهانوي، ص٥١٤، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة للأنصاري ص٧٣.
[٣] انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/٢٢).
[٤] انظر مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة لناصر العقل، ص٥.
[٥] ينظر: لسان العرب، لابن منظور ج ١/١٦٢-١٦٣ مادة: نبأ.
[٦] النبوات، لابن تيمية ٢/٧١٤.تحقيق: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٠.

مقدمة : تشتمل على مشكلة البحث ، وأهميته ، وأسباب اختياره ، وأهدافه ، وأسئلته ، وحدوده ، ومنهجه ، ومصطلحاته البحث .
تمهيد .
المبحث الأول: تناقضات الرازي في النبوات ، وفيه مطلبان :
المطلب الأول : تعريف النبوة .
المطلب الثاني : حكم بعثة الأنبياء .
المبحث الثاني : تناقضات الرازي العقدية في مسائل النبوات ، وفيه مطلبان :
المطلب الأول : إثبات النبوة.
المطلب الثاني : التفاضل بين الملائكة والأنبياء .

تمهيد:

النبوة ضرورة لحياة البشر؛ فالله سبحانه وتعالى لم يسند أمر الإنسان إلى فِكْرِه لتنظيم سلوكه وشؤون حياته، بل ولا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل، ولا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة إلا على أيدي الرسل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في وجوب متابعة الرسل وأهمية الرسالة للخلق: "أن السعادة والهُدى في متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الضلال والشقاء في مخالفته، وأن كل خير في الوجود -إما عام وإما خاص- فمنشؤه من جهة الرسول، وأن كل شر في العالم مختص بالعبد فسببه مخالفة الرسول أو الجهل بما جاء به"(٧).

فمن أجل ذلك سمى الله الأنبياء والرسل رحمة للعالمين، فهم رحمة للناس كما قال تعالى: (لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ) [الأنبياء: ١٠٧]، رحمة بتعليمهم أمورهم وتنظيمها؛ ولئلا يُقصِّروا في عبادة الله بحجة جهلهم، وأنهم ما جاءهم من بشير ولا نذير، ولئلا ينكروا وجود الله واليوم الآخر بسبب وسوسة الشياطين، وإلقاء الشبه عليهم(٨).

ويقول ابن القيم رحمه الله (٩): "فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن

(٧) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ج/١٩/٩٣.
(٨) ينظر: النبوات وما يتعلق بها للرازي ص ٧-٨.
(٩) هو الإمام، العلامة، شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب، الحنبلي، الفقيه، المفتي، المتفنن، النحوي، الدمشقي، المعروف بابن قيم الجورية، ولد سابع صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسُجن معه في قلعة دمشق، له مصنفات كثيرة منها: زاد المعاد، ومفتاح دار السعادة، وإعلام الموقعين، والجواب الكافي، ومدارج السالكين، وغيرها كثير، مات في رجب سنة إحدى وخمسين

الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه والعين إلى نورها والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير"[١٠].

فالله أمرنا أن نؤمن بالأنبياء والرسل جميعهم ونصدقهم ولا نفرق بين أحد منهم؛ كما قال تعالى: (قل آمنا بالله وما أنـزل علينا وما أنـزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمونٌ) [آل عمران: ٨٤]، فالإيمان بالله يقتضي الإيمان والتصديق بجميع رسله الذين أخبر الله عنهم في كتابه الكريم[١١].

ولقد تناول العلماء عقيدة النبوة ومسائلها بالبحث والدراسة، ومن هؤلاء فخر الدين الرازي حيث نجده ذكر ذلك في كتبه، إن لم يكن جميعها فتحدث عن النبوة ومسائلها، وأفرد لها كتابًا خاصًّا سماه: "النبوات" ذكر فيه آراءه عن النبوة وما يتعلق بها، وهو قسم من كتاب المطالب العالية من العلم الإلهي، وكتاب آخر سماه: "عصمة الأنبياء"

المبحث الأول: تناقض الرازي في النبوات :

المطلب الأول : تعريف النبوة لغة واصطلاحاً ، وحقيقة النبوة عند الرازي :

النبوة لغة: مصدر، والاسم منه نبي، والنبي مأخوذ من النبأ بمعنى الخبر، والجمع: أنبياء، وهو من أنبأ عن الله أي: أخبره، كما قال تعالى: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (*) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) [النبأ: ١-٢]، أو مشتق من النُّبوة والنباوة وهي العلو والارتفاع من الأرض؛ لارتفاَع قدره، ولأنه شرف على سائر الخلق[١٢]، والنبيء: الطريق الواضح، وسمي بذلك؛ لاهتداء الخلق به[١٣]، وعند التأمل فكل ما ورد في معنى النبوة فلا خلاف فيها، إذ هي إخبار عن الله تعالى، وهي الطريق الواضح الذي يهتدي به الناس إلى الله، وهي رفعة وعلو وتشريف.

النبوة في الاصطلاح الشرعي: النبي: "هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأه الله به[١٤]".

به[١٤]".

وسبعمائة. ينظر: الوافي بالوفيات (٢/ ١٩٥)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ١٣٧)، بغية الوعاة (١/ ٦٢)، الأعلام للزركلي (٦/ ٥٦).

[١٠] زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم ج١/٦٨-٦٩.

[١١] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، ج٦/٥٦٩.

[١٢] ينظر: لسان العرب، لابن منظور ج ١/١٦٢-١٦٣ مادة: نبأ.

[١٣] ينظر: لسان العرب، لابن منظور ج ١/١٦٤-١٦٣مادة: نبأ، تهذيب اللغة ١٥/ ٣٥٠.

[١٤] النبوات، لابن تيمية ٧١٤/٢.تحقيق: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٠.

فهو إنسان ذكر"كما قال تعالى:" (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)" [النحل: ٤٣] أوحي إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه[١٥].

والنبوة: "هي وحي من الله تعالى بأن يعلم الموحي إليه بأمر ما، يعلمه مالم يكن قبل، والرسالة هي: النبوة وزيادة، وهي بعثته إلى خلق ما بأمر ما"[١٦].

قال ابن القيم رحمه الله: "النبوة: خطاب سمعي بوحي يوحيه الملك إلى النبي عن الرب تعالى"[١٧]، "وهي محض فضل إلهي، واصطفاء رباني، كما أخبر عن نفسه: (ا يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) [البقرة: ١٠٥][١٨].

ولنبوة اتصال بالرسالة يحسن أن نعرفها، فالرسول: في اللغة: هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذًا من قولهم: جاءت الإبل رسلا، أي: متتابعة، والإرسال هو: التوجيه[١٩].

فهناك فرق بين النبي والرسول فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا، فالنبي والرسول اشتركا في أمر عام وهو إنباء الله تعالى لهما، ويفترقان في أن النبي قد يبعث في قوم مؤمنين، وأما الرسل فإنهم يبعثون إلى قوم كفار؛ يدعونهم إلى توحيد الله وطاعته والنهي عن الشرك بالله ومعصيته، والرسالة أعم من جهة نفسها فالنبوة جزء من الرسالة؛ إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها، والرسل يتفاضلون، كما قال تعالى: (لَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) [البقرة: ٢٥٣][٢٠].

تعريف النبي والنبوة - الرسول والرسالة عند الرازي:

النبي لغة: رفيع القدر عند الله تعالى[٢١].

وفي الاصطلاح الشرعي عند الرازي: عرف الأنبياء بقوله: "هم الذين أعطاهم الله تعالى من العلوم والمعارف ما لأجله بها يقدرون على التصرف في بواطن الخلق وأرواحهم، وأيضا أعطاهم من القدرة والمكنة ما لأجله يقدرون على التصرف في ظواهر الخلق،

---

(١٥) التعريفات الاعتقادية، لسعد بن محمد آل عبد اللطيف، ٣١٤.

(١٦) المحلى بالآثار، لابن حزم، ٧١/١.

(١٧) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، ٧٥٩/٢.

(١٨) النبوات، لابن تيمية، ١٩/١.

(١٩) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ٢٨٣/١١-٢٨٤.

(٢٠) ينظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لأبي عبد الله بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: عثمان الأثيوبي، ط٢، ١٤١٨هـ، ج٣/٢٦٧، وشرح العقيدة الطحاوية ١٥٥/١- ١٥٦.

(٢١) التفسير الكبير ٣٨٠/١٥.

ولما استجمعوا هذين الوصفين لا جرم كانوا هم الحكام على الإطلاق"[٢٢].فنجد أن الرازي عفا الله عنه قد جعل للأنبياء قدرة وتمكن من التصرف بالخلق تساوي قدرة الله،بل أشد من ذلك أنهم حكام ولهم مكنة وقدرة فتعريفه لايستقيم إذ يحمل على إشراكهم مع الله في القدرة والتصرف.

والرسول لغة: لفظ الرسول عنده : اسم للماهية من غير بيان أن تلك الماهية واحدة أو كثيرة، والألف واللام يفيدان الوحدة؛ بدليل أنك تقول الإنسان هو الضحاك، فإذا ثبت أن لفظ الرسول لا يفيد إلا الماهية، والماهية تفيد الواحد والإثنين ثبت صحة قوله تعالى: (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الشعراء: ١٦]، كما أنه يرى الرسول قد يكون بمعنى الرسالة[٢٣].فنجد أنه عرف المصطلحات الشرعية المرتبطة بالشرع بالإتجاه المنطقي وسلك جانب التأويل بالمعنى إذ جعل الرسول بمعنى الرسالة وهذا ليس بصحيح فالرسالة معنى كلي وهذا اضطراب عنده بسبب لوثة المنطق وتأثيره عليه .

وفي الاصطلاح الشرعي عند الرازي: "من جاءه الملك ظاهرًا، وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول، ومن لم يكن كذلك بل رأى في النوم كونه رسولا أو أخبره أحد من الرسل بأنه رسول الله فهو النبي الذي لا يكون رسولا، وهذا هو الأولى"[٢٤]. وعليه فيكون الرسول من يأتيه الوحي بواسطة الملك، والنبي من يأتيه الوحي أو خبر النبوة بطريق غير الملك[٢٥]إذ جعل للنبوة قرينة عند وجودها فقط في المنام وهذا اضطراب في الفرق بينهما.

الفرق بين الرسول والنبي عند الرازي:

أشار الرازي إلى الفرق بين الرسول والنبي، عند قوله تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان) [الحج: ٥٢]؛ حيث حصر أقوال العلماء في ذلك إلى ثلاثة أقوال[٢٦]:

القول الأول: الرسول هو الذي حُدِّث وأُرسل، والنبي هو الذي لم يُرسل، ولكنه أُلهم أو رأى في المنام.

القول الثاني: كل رسول يكون نبيًّا، وليس كل نبي يكون رسولًا، وهو قول الكلبي، والفراء.

---

(٢٢) المرجع السابق ٥٥/١٣.
(٢٣) ينظر: المرجع السابق ٤٩٥/٢٤.
(٢٤) المرجع السابق ٢٣٦/٢٣.
(٢٥) سيأتي بيانه في ذكر الفرق بين النبي والرسول.
(٢٦) التفسير الكبير:٢٣٦/٢٣، وقد أورد القول الأول البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ٣٣٢، والكلبي ذكره في التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: د عبد الله الخالدي، دار الأرقم، ط٢، ١٤١٦، ٤٣/١، والفراء ذكره في معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف وآخرين، دار المصرية، ط١، ٢/ ٢٢٩. وقول المعتزلة ورد في شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦هـ، ٥٦٧-٥٦٨.

القول الثالث: كل رسول نبي، وكل نبي رسول، ولا فرق بينهما، وهو قول المعتزلة.
والذي رجحه الرازي هو القول الثاني أن كل رسول نبي وليس كل نبي يكون رسولًا، حيث جاءت هذه الآية قوله تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان) [الحج: ٥٢]، دالة عليه؛ لأنه عطف النبي على الرسول، وذلك يوجب المغايرة، وهو من باب عطف العام على الخاص.
واستدل أيضا بقوله تعالى: (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ) [الزخرف: ٦]، وذلك يدل على أنه كان نبيًّا، فجعله الله مرسلًا وهو يدل على قولنا، ثم يستدرك ذلك بذكر الأقوال في الفرق بين النبي والرسول ويجمعها بثلاثة أمور هي[٢٧]:

١- أن الرسول من الأنبياء: من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبي غير الرسول: من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أُمر أن يدعو إلى كتاب من قبله.
٢- أن الرسول صاحب المعجزة، وصاحب الكتاب، ونسخ شرع من قبله، أما النبي فليس ذلك.
٣- أن الرسول مَن جاءه الملك ظاهرًا وأمره بدعوة الخلق، ومن لم يكن كذلك بل رأى في النوم كونه رسولًا، أو أخبره أحد من الرسل بأنه رسول الله، فهو النبي الذي لا يكون رسولًا، وهذا هو الأولى.

فخلاصة القول: قول الرازي بأن الرسول من جاءه الملك ظاهرًا وأمره بدعوة الخلق، ومن رأى في النوم كونه رسولًا، أو أخبره أحد من الرسل بأنه رسول الله، فهو النبي الذي لا يكون رسولًا، وتصريحه بأنه الأولى فيه نظر؛ إذ أن الذي اختاره الرازي غير جامع، وذلك لأنه جعل العلاقة بينهما علاقة تباين فليس النبي رسولًا ولا الرسول نبيًّا، وتعريف من طريق واحد، وحصره بالوحي فيه تقييد، دون بيان البعثة، وكونه شرعًا جديدًا، وقيده بمجيء الملك للرسول يقظة، ومن يأتيه الوحي في حال النوم للنبي، ففيه اضطراب، جانب فيه الحق، يقول الألوسي[٢٨] عن قول الرازي : "وهذا أغرب الأقوال، ويقتضي أن بعض الأنبياء عليه السلام لم يوح إليه إلا مناما، وهو بعيد، ومثله لا يقال

---

[٢٧] ينظر: المرجع السابق ٢٣٦/٢٣.
[٢٨] هو محمود بن عبد الله الحسيني، الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، المفسر، المحدث، الأديب، من المجددين من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، ولد سنة ألف ومائتين وسبع عشرة، كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا، تقلد الإفتاء ببلده سنة ألف ومائتين وثمان وأربعين وعزل، فانقطع للعلم، ثم إلى الموصل، فالآستانة، ومر بماردين وسيواس، وعاد إلى بغداد يدون رحلاته، ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر الى أن توفي، من كتبه: روح المعاني ودقائق التفسير، والأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية، وغيرها. مات سنة ألف ومائتين وسبعين. ينظر: الأعلام للزركلي (٧/ ١٧٦).

بالرأي"[٢٩]، فلا دليل على ما ذكره الرازي، فالصواب ما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٣٠] في الفرق بين النبي والرسول: بأن النبي هو من ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأ الله به؛ فيخبرهم بأمره ونهيه، وهم ينبئون المؤمنين بهم، بما أنبأهم الله، فإن أرسلوا إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله، وعبادته وحده لا شريك له، فهو رسول كما أن الرسول لا بدّ أن يكذّب من قبل قومه أو بعضهم، كما قال تعالى: (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون «تفريع على قوله: «فإن للذين ظلموا ذنوبا) [الذاريات: ٥٢] فنوح أول رسول بعث إلى أهل الأرض وقد كان قبله أنبياء؛ كـ: شيث وإدريس عليهما السلام، وقبلهما آدم كان نبيّا وكان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على الإسلام[٣١].

فتحرير الرازي للفرق وبيانه إنما هو من قبيل التأويل وليس تفسيراً ولايرتبط باللغة كما يوجد فيه اصطلاحات بدعية منها لفظ الماهية وأيضاً قوله أن الرسول اسم الرسالة والرسول بمعنى الرسالة وبينهما فرق، مما جعله مضطربا فهو يقول بوجود فرق كما ذكر، إلا إنه في الحقيقة ليس بفرق حينما ذكر الفرق الثالث وذكر أنه الأولى، وثبوت النبوة عن طريق إخبار أحد الرسل أمر يحتاج إلى دليل، فهو جعل العلاقة بين النبي والرسول متباينة.

مسألة حقيقة النبوة عند الرازي:

في التعريف اللفظي عند الرازي والتعريف المنطقي ماهية الشيء وهي حقيقته، وبينهما فرق فهو موضوع شرعي وضع بلباس منطقي، وهذا لا يجوز، يقول الشاطبي: "ما يتوقف عليه معرفة المطلوب قد يكون له طريق تقريبي يليق بالجمهور، وقد يكون له طريق لا يليق بالجمهور وإن فرض تحقيقا...، وأما الثاني وهو ما لا يليق بالجمهور،

---

[٢٩] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق علي عطية، دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٥هـ، ١٦٥/٩.

[٣٠] هو الإمام، العلامة، الحافظ، الحجة، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي، ولد بحران في ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، وقدم دمشق مع والده المفتي شهاب الدين، فنسخ وقرأ وانتقى، وبرع في علوم الآثار والسنن، ودرس وأفتى وفسر، وكان إماما متبحرا في علوم الديانة، صحيح الذهن، سريع الإدراك، سيال الفهم، كثير المحاسن، وصنف التصانيف البديعة منها: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، و«الصارم المسلول»، و«منهاج السنة»، وغير ذلك كثير، توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة. ينظر: المعجم المختص للذهبي (ص: ٢٥)، وفوات الوفيات (١/ ٧٤) والدرر الكامنة لابن حجر (١/ ١٦٨).

[٣١] النبوات ٧١٧/٢. فترجيحه لهذا القول راجع سببه؛ لأنه ينظر للنبوة على أنها مجرد إعلام، والرسالة أمر بتبليغ ما أوحي إليه، يؤكد ذلك ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الأشعري ومن وافقه من أهل الكلام من أتباع مالك والشافعي وأحمد وغيرهم من مثبتة القدر فهؤلاء يجوزون بعثة كل مكلف، والنبوة عندهم مجرد إعلامه بما أوحاه إليه، والرسالة مجرد أمره بتبليغ ما أوحاه إليه". منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦، ٤١٤/٢.

فعدم مناسبته للجمهور أخرجه عن اعتبار الشرع؛ لأن مسالكه صعبة المرام، كما قال تعالى: (هو اجتباكم) [الحج: ٧٨]، كما إذا طلب الملك فأحيل به على معنى أغمض منه...، فظهر أن الحدود على ما شرطه أرباب الحدود يتعذر الإتيان بها، ومثل هذا لا يجعل من العلوم الشرعية التي يستعان بها فيها"(٣٢)، فالرازي ذكر متابعة منه للمناطقة في حقيقة الأشياء، وحدها مسألة حقيقة النبوة.

حقيقة النبوة(٣٣) من المسائل التي كان للرازي فيها أقوال في مواضع وأوقات مختلفة في كتبه:

القول الأول: هو أن الصور التي يشاهدها الأنبياء والأبرار وغيرهم ليست موجودة في الخارج، بل هي من تركيب القوى المتخيلة؛ حيث عقد في كتابه المباحث المشرقية -وهو أول كتبه- في "الفصل الخامس في الصور التي تختص بمشاهدتها الأنبياء والأبرار والكهنة...يقول: "الصور التي يشاهدها الأبرار والكهنة والنائمون والممرون ليست موجودة في الخارج، فإن الأمور الخارجية لا يختص بدركها شخص دون شخص، متساوية في استجماع الشرائط وارتفاع الموانع وسلامة الآلات، فإن ورودها على الحس المشترك من داخل، أعني من القوة المتخيلة الدائمة الفعل في التصورات والتركيبات، فلو خليت وطباعها لما فترت من نقش الحس المشترك مثل هذه الصور إلا عند كلال الروح"(٣٤).

(٣٢) راجع الموافقات للشاطبي، تحقيق: أبي عبيدة آل سلمان، دار بن عفان، ط١، ١/٦٨-٦٩.

(٣٣) يقوم على أساس باطل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله عن حقيقة النبوة عند الفلاسفة: "يجعلون النبوة فيضًا من العقل الفعال على نفس النبي، ويجعلون ما يقع في نفسه من الصور هي ملائكة الله، وما يسمعه في نفسه من الأصوات هو كلام الله، ولهذا يجعلون النبوة مكتسبة، فإذا استعد الإنسان بالرياضة والتصفية فاض عليه ما فاض على نفوس الأنبياء". درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ٥/٥٥٣، وقال ابن سيناء في النجاة، فصل في طرق اكتساب النفس الناطقة للعلوم: "واعلم أن التعلم سواء حصل من غير المتعلم، أو حصل من نفس المتعلم متفاوت؛ فإن من المتعلمين من يكون أقرب إلى التصور، ولأن استعداده الذي قبل الاستعداد الذي ذكرناه أقوى، فإن كان ذلك الانسان مستعدًا للاستكمال فيما بينه وبين نفسه، سمي هذا الاستعداد القوي حدسًا، وهذا الاستعداد قد يشتد في بعض الناس حتى لا يحتاج في أن يتصل بالعقل الفعال إلى كبير شيء وإلى تخريج وتعليم، بل يكون شديد الاستعداد لذلك، كأن الاستعداد الثاني حاصل له، بل كأنه يعرف كل شيء من نفسه، وهذه الدرجة أعلى درجات هذا الاستعداد. ويجب أن تسمى هذه الحال من العقل الهيولاني عقلًا قدسيًّا وهو من جنس العقل بالملكة، إلا أنه رفيع جدًّا ليس مما يشترك فيه الناس كلهم، ولا يبعد أن تفيض هذه الأفعال المنسوبة إلى الروح القدسي لقوتها واستعلائها فيضانًا على المتخيلة أيضا، فتحاكيها المتخيلة أيضا بأمثلة محسوسة ومسموعة من الكلام على النحو الذي سلفت الإشارة إليه...، وهذا ضرب من النبوة بل أعلى قوى النبوة، والأولى أن تسمى هذه القوة قوة قدسية، وهي أعلى مراتب القوى الإنسانية". النجاة في المنطق والإلهيات، لابن سينا ٩٦-٩٧.

(٣٤) المباحث المشرقية، للرازي ٢/ ٤١٨-٤١٩.

يوضح الرازي سبب رؤية الصور التي يختص بمشاهدتها الأنبياء، وهو أنه في ذهن الإنسان ما يسمونه بالحس المشترك، وهو من يجمع المحسوسات الظاهرة، فهو أشبه بالمرآة التي تنعكس فيها الصور، فالصور المشاهدة من خلال الحواس الظاهرة تنطبع في الحس المشترك، وتصبح مشاهدة لا لأنها وردت عليه من الخارج، إنما لأنها انطبعت في الحس المشترك، وكذلك الصور التي تركبت من خلال القوة المتخيلة، فهو يسير على طريقة ابن سينا[٣٥] في حقيقة النبوة؛ بأن الصور التي يشاهدها الأنبياء والأبرار وغيرهم ليست موجودة في الخارج، بل هي من تركيب القوى المتخيلة التي هي من القوى المدركة الباطنة، كما أنه عقد في الفصل السابع في كيفية الإخبار عن الغيب، وأن سببه هو كمال النفس الناطقة، فلا يشغلها تدبير البدن عن الاتصال بالمبادئ المفارقة والمتخيلة أيضا، ولا يستبعد أن يقع لها في حال اليقظة مثل ما يقع للنائمين من الاتصال بالمبادئ المفارقة، ويرتسم منها فيها إدراك لبعض المغيبات، ثم يفيض عنها الأثر إلى عالم التخيل، فيتخيل أنه سمع صوتا أو يشاهد ملكا[٣٦]، ويقوي ذلك أنه ختم ما ذكره عن ابن سينا بقوله: "فهذه جملة ما يقوله الشيخ تفريعا على القول بالقوى، وأما إذا جعلنا النفس هي المدركة والمتخيّلة والمشاهدة لهذه الصور فتطبيق هذه الوجوه على ذلك أسهل وإلى الحق أقرب"[٣٧].

فالرازي في كتابه المباحث متأثرا بالتفسير الفلسفي لحقيقة النبوة الذي اصطلح عليه الفلاسفة المنتسبين للإسلام من القوة المتخيلة، وأن هذه الصور التي يشاهدها الأنبياء ليست لها وجود في الخارج، فهذه النظرية تأثر بها الرازي من ابن سينا، وذلك في كتابه أحوال النفس إذ ذكر "أن القوة المتخيلة لما فيها من الغريزة المحاكية والمتنقلة من شيء إلى غيره تترك ما أخذت، وتورد شبيهه أو ضده أو مناسبه، كما يعرض لليقظان من أنه يشاهد شيئا فينعطف عليه التخيل إلى أشياء أخرى تحضره ...حتى ينسيه

كلمة الممرون: يعني به إذا كان الرجل يعتريه أدنى جنون وأهونه فهو موسوس، فإذا زاد ما به قيل: به رئي من جن، فإذا زاد على ذلك فهو ممرور. فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ١٠٨.

[٣٥] هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والالهيات، أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى سنة سبعين وثلاثمائة، ونشأ وتعلم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتوارى، ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه، ومنها: (المعاد) رسالة في الحكمة، و(الشفاء) في الحكمة، و(السياسة) و(أسرار الحكمة المشرقية) مات سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٣١)، الأعلام للزركلي (٢/ ٢٤١).

[٣٦] ينظر: المباحث المشرقية ٤٢٢/٢.

[٣٧] المباحث المشرقية ٤٢٣/٢.

الشيء الأول فيعود على سبيل التحليل بالتخمين"[٣٨]. وذكر كذلك: "أن طبقة أخرى أشد تهيؤا، وهم القوم الذين بلغ من كمال قوتهم المتخيلة وشدتها أنها لا تستغرقها القوى الحسية في إيراد ما يورد عليها، حتى يمنعها ذلك عن خدمة النفس الناطقة في اتصالها بتلك المبادئ الموحية إليها الأمور الجزئية، فتتصل كذلك في حال اليقظة وتقبل تلك الصور. ثم إن المتخيلة أيضا تفعل ما تفعل في حال الرؤيا المحتاجة إلى التعبير، بأن تنطبع الصور الحاصلة فيها في البنطاسيا للمشاركة، فتشاهد صورا إلهية عجيبة مرئية، وأقاويل إلهية مسموعة هي مثل لتلك المدركات الوحيية، فهذه إذن درجات المعنى المسمى بالنبوة"[٣٩]، فهذه النظرية الفلسفية تخالف الإسلام في تفسيره وبيانه للنبوة، كما أن الرازي يظهر عليه التأثر بابن سينا فيوافق قوله باستشهاده بذلك بخلاف الإدراكات للنفس فإنه يجعل النفس هي المدركة والمتخيلة والمشاهدة، علل وصلها للحق أقرب، وذلك عندما ختم قوله بذكر ابن سينا.

القول الثاني: أبطل الرازي تفسير حقيقة النبوة التي ذكرها الفلاسفة المنتسبين للإسلام ، حيث ذكر أن الصور التي يشاهدها الأنبياء خيال لا حقيقة له في الواقع وهو سفسطة؛ فقد حكاه في كتابيه "الملخص في الحكمة والمنطق"، و"شرح الإشارات" ففي كتابه الملخص في الحكمة والمنطق: يذكر فيه أنه "لو جوزنا أن يصير ما لا وجود له في الخارج مشاهدًا، لم يمكننا القطع بوجود المشاهدات، وللزم أن يكون بحضرتنا أشياء كثيرة لا نراها، وهذا من السفسطة"[٤٠].

ويقول في شرح الإشارات والتنبيهات: "... إنكم إذا جوزتم في الشيء المبصر أو المسموع ألا يكون موجودا في الخارج كانت السفسطة لازمة لكم بحيث لا يكون لكم عنها محيص"[٤١].

فالرازي في كتابيه "الملخص" و"شرح الإشارات" انتقد نظرية الفلاسفة وأبطل النبوة المبنية عن طريق القوة المتخيلة؛ لأن النبوة عندهم هي اكتساب، وما ذكر بأن الصور التي يشاهدها الأنبياء لا وجود لها في الخارج، وإنما هي مما يتخيل في النفس من الباطن إذ لو كان موجودا في الخارج لشاهده كل من كان سليم الحس، بل امتنع عن

---

[٣٨] أحوال النفس، لابن سينا، تحقيق: أحمد الأهواني، دار بايبلون، ١١٧-١١٨.

[٣٩] المرجع السابق ١١٨-١١٩.

[٤٠] السفسطة: هي كلمة يونانية من سوفيا وهي الحكمة، ومن أسطس وهي المموه، والسفسطة عند الفلاسفة هي الحكمة المموهة، وكل من له القدرة على التمويه والمغالطة بالقول في أي شيء كان؛ سمي بهذا الاسم، ويقصد به خداع الآخرين أو خداع النفس. ينظر: معجم المصطلحات العلمية العربية للكندي والفارابي والخوارزمي وابن سيناء والغزالي، تصنيف: فايز الداية ٩٠-٩١، ينظر: الملخص في المنطق والحكمة، للرازي، تحقيق: د إسماعيل خان أوغلو، ط١ /١٠٠١-١٠٠٣.

[٤١]شرح الإشارات والتنبيهات، للرازي ٤٣٤.

ذلك لامتناع حدوث هذا الأمر، واستعار بلفظة السفسطة كاستدلال على نقض قولهم والتهوين فيه ، وقد ذكر دلائل تبين اضطرابه فقد ذكر أن الملك خيال ونقد هذا وذكر النبوة مكتسبة ونقدهذا، وأن النبوة لها أطراف متعدده ونقد هذا وهذه الدلائل قرينة التناقض عنده.

وفي التفسير يبين حقيقة النبوة بأنها اصطفاء رباني كما قال تعالى: (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ) [طه: ١٣]، فذلك الاختيار للرسالة فالنبوة لا تحصل بالاستحقاق، "ويدل على أن ذلك المنصب العلي إنما حصل، لأن الله تعالى اختاره له ابتداء، لا أنه استحقه على الله تعالى"[٤٢]، وذكر عند قوله تعالى: (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم) [يوسف: ٦] في خاصية النبوة أن الله لا يضعها إلا في نفس قدسية وجوهرة مشرقة علوية[٤٣]، إذ ينظر من جهة النبي والصفات التي تميزه للنبوة، وفي موضع آخر بيّن حقيقة النبوة فيما يخص الوحي، حيث فسر الوحي بأنه الإلهام والقذف في القلب أو المنام أو يسمعه الكلام من غير واسطة مبلغ، بدليل أنه تعالى أسمع موسى عليه السلام (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ) [طه: ١٣] كلامه مع أنه سماه وحيًا، وإما أن يرسل رسولا من الملائكة فيبلغ ذلك الوحي[٤٤]، ويبين أن الوحي لا يتم إلا بأربعة أركان، الركن الأول: المرسل وهو الله سبحانه وتعالى، والركن الثاني: الإرسال والوحي، وهو الروح كما قال تعالى: (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) [غافر: ١٥]، والثالث: وصول الوحي من الله إلى الأنبياء بواسطة الملائكة، والرابع: وهم الأنبياء الذين يلقي الله إليهم الوحي، وهم المشار إليهم بقوله تعالى: (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) [غافر : ١٥][٤٥]، فتصوره للوحي موافق لما دل عليه الشرع، فالنبوة والوحي عنده يقوم على الإرسال ونزول الملك، كما ذكر.

وأشار أيضا في تفسيره عند قوله تعالى: (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن اللَّه) [إبراهيم: ١١] "أن جماعة من حكماء الإسلام[٤٦] قالوا :إن الإنسان ما لم يكن في

(٤٢) التفسير الكبير، للرازي ١٩/٢٢.
(٤٣) المرجع السابق ٤٢١/١٨.
(٤٤) التفسير الكبير ٦١١/٢٧.
(٤٥) ينظر: المرجع السابق ٤٩٩/٢٧.
(٤٦)ينظر: تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات "رسالة في إثبات النبوات وتأويل رموزهم وأمثالهم"، وذكر أن النبي هو الخارج بغير واسطة، الذي انتهى إليه التفاضل في الصور

نفسه وبدنه مخصوصا بخواص شريفة علوية قدسية، فإنه يمتنع عقلا حصول صفة النبوة له، وأما الظاهريون[٤٧] من أهل السنة والجماعة فقد زعموا أن حصول النبوة عطية من الله تعالى يهبها لكل من يشاء من عباده، ولا يتوقف حصولها على امتياز ذلك الإنسان عن سائر الناس بمزيد إشراق نفساني وقوة قدسية، وهؤلاء تمسكوا بهذه الآية، فإنه تعالى بين أن حصول النبوة ليس إلا بمحض المنة من الله تعالى والعطية منه، والكلام من هذا الباب غامض غائص دقيق، والأوّلون أجابوا عنه بأنّهم لم يذكروا فضائلهم النّفسانيّة والجسدانيّة تواضعًا منهم، واقتصروا على قولهم: ولكنّ اللّه يمنّ على من يشاء من عباده بالنّبوّة؛ لأنّه قد علم أنّه تعالى لا يخصّهم بتلك الكرامات إلّا وهم موصوفون بالفضائل الّتي لأجلها استوجبوا ذلك التّخصيص، كما قال تعالى: (انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) [الأنعام: ٢٤]"[٤٨].

فالرازي يقرر قول الفلاسفة بأن حصول النبوة يسبقها اتصاف النفس بخواص قدسية شريفة عند قوله تعالى: (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم) [يوسف: ٦]، فتكون النبوة اكتسابا على هذا المعنى، كذلك عند إيراده لألفاظ فيها إضفاء نوع من القبول بقوله جماعة من حكماء الإسلام، بينما إيراده لفظ أهل الظاهر فيه تضعيف بقوله: زعموا أن حصول النبوة عطية ولا يتأكد فيها مزيد إشراق[٤٩]، وهذا تأكيد لتقريره قول الفلاسفة في النبوة بأن يكون للنبي قوة قدسية، فهو من خلال قوله اتصاف النبي بخواص القداسة يميل للقول بأن النبوة صفة كسبية وليست اصطفاء، كما ذكر في تفسيره لقوله تعالى: (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ) [طه: ١٣]، فالرازي نجد موقفه غير مستقر[٥٠]، تارة النبوة عنده اصطفاء، يسير وفق مذهبه، وتارة عنده اكتساب؛ وذلك راجع لتأثره بالفلاسفة بناء على القول بقدسية النبي، وقوله: غامض ودقيق: فيه إشعار بالتسليم لقول الفلاسفة، ويوحي لتصور النبوة عندهم كونها مبينة على القوة المتخيلة، وما ترتب عليها من كون لازمة للاكتساب.

وفي كتابه: "المطالب العالية من العلم الإلهي" -وهو من كتبه المتأخرة- قرر أن القول بحقيقة النبوة على طريقة الفلاسفة يؤدي إلى السفسطة، وانتقد ما ذكره بأن ما يراه

المادية، والوحي: هو الإفاضة، والملك: هو القوة المقبولة المفضية كأنها عليه إفاضة متصلة بإفاضة العقل" ١٢٣-١٢٤.

[٤٧] يقصد الأشاعرة.

[٤٨] التفسير الكبير، للرازي ١٩/ ٧٤.

[٤٩] نجد أن الفلسفة وأقوال الفلاسفة المؤثرين على الرازي هم فلاسفة الإشراقية وغالبهم شيعة وباطنية .

[٥٠]

الأنبياء وغيرهم لا وجود له في الخارج حيث قال: "لو جوَّزنا أن يرى الإنسان صورًا، ويشاهدها، ويتكلم معها، ويسمع أصواتها، ويرى أشكالها، ثم لا تكون موجودة في الخارج؛ جاز أيضا في كل هذه الأشياء التي نراها ونسمعها من صور الناس، والجبال، والبحار، وأصوات الرعود أن لا يكون محض خيال، ومحض الصور المرتسمة في الحس المشترك، ومعلوم أن القول به محض السفسطة"، ثم بعد هذا البيان ذكر السبب الذي حملهم على هذا القول "واعلم أن الذي حمل هؤلاء الفلاسفة على ذكر هذه العلل والأسباب؛ إطباقهم على إنكار الملائكة، وعلى إنكار الجن...، وقد عرفت أن ليس لهم فيه دليل، وهذا ما يوجب القول بالسفسطة، كان هذا القول في غاية الفساد والبطلان"(٥١)، فقد بيَّن أن هذا القول مع بطلانه يترتب عليه الزامات، فيجعل هذا الإلزام وهو إطباقهم على إنكار الملائكة وإنكار الجن مدخل لنقض قولهم في النبوة مكتسبة، كما أنه أوضح الأسباب لبطلانه، فقوله راجع للعودة والاستقرار إلى المذهب الأشعري في النبوة، ومما يبين اضطرابه أنه ترك موضوع اكتساب النبوة إلى موضوع إثبات وجود الملك من عدمه وهو يبرر ذلك للفلاسفة ويعذرهم و هو مثبت عليهم فقد كفر ابن تيمية الفلاسفة في النبوة لإنهم جعلوها مكتسبة.

ثم بيَّن الرازي حقيقة النبوة بعد نقده لقول الفلاسفة؛ ببيان: "والحق أن هذا الباب يحتمل وجوهًا كثيرة أحدها: أنا قد بينا أن النفوس الناطقة أنواع كثيرة، وطوائف مختلفة، ولكل طائفة منها روح فلكي، هو العلة لوجودها، وهو المتكفل بإصلاح أحوالها، وذلك الروح الفلكي كالأصل والمعدن والينبوع بالنسبة إليها، وسميناه بالطباع التام، فلا يمتنع أن يكون الذي يريها في المنامات تارة، وفي اليقظة أخرى، وعلى سبيل الإلهام ثالثا هو ذلك الطباع التام، ولا يمتنع أن يكون ذلك الطباع التام قادرًا على أن يتشكل بأشكال مختلفة...، وثانيها: أن نثبت طوائف الملائكة، وطوائف الجن، ونحكم بكونها قادرة على أن تأتي بأعمال مخصوصة، وعندها يظهرون للبشر، وعلى أعمال أخرى عندها يحتجبون عن البشر، والقول بهذا أولى من القول بالتزام السفسطة، فهذا ما نقوله في هذا الباب"(٥٢).

فالرازي في هذا القول يميل لطريقة يخلط فيها المعنى الفلسفي بالمعنى الشرعي للنبوة، فالرازي ينقل من المؤلفات المبثوثة في وسط المكتبات بل إن منهج الأشاعرة النقل دون الإشارة للمؤلفين فالرازي واضح في نقله عن الكندي والذي تأثر بأفلاطون كثيرا ولعله ينقله عن تلميذ الكندي يحي بن عدي ،فالطباع التام عبارة عن ملك عند الرازي و هذه النظرية تتفق في ظاهرها مع النظرية الإسلامية إذ الملائكة لها عمل تقوم به لكي يسهل للنبي رؤيته ومخاطبته، ففي أقواله لا ينفك عن النزعة الفلسفية.

(٥١) المطالب العالية من العلم الإلهي ٨/ ١٣٤.
(٥٢) المرجع السابق ٨/١٣٦.

خلاصة القول: فالرازي بهذا البيان متناقض تارة يؤيد الفلاسفة ويقول بقولهم، وتارة ينتقد قولهم، حتى انتهى به الأمر إلى محاولة التوفيق، وبسبب محاولته واستمالته للتوفيق بين الفلسفة والشرع من خلال إثبات الملائكة والجن التي نفوها، وإمكانية ملاقاة النبي للملك ومشاهدته والسماع منه، فالذي استقر عليه في آخر كتبه تفسير النبوة بالمفهوم الشرعي، وإمكانية تفسير النبوة تفسيرًا فلسفيًّا، ومع وجود احتمالات بقوله، ووجود دلالات تأثره بالفلسفة كالطباع التام[٥٣]، وتقسيمه للعالم العلوي والسفلي، وذلك الروح الفلكي كالأصل والمعدن.

المطلب الثاني: حكم بعثة الأنبياء بين الوجوب وعدمه:

يقول أهل السنة والجماعة: النبوة اصطفاء من الله سبحانه وتعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والله سبحانه قد أخبر أنه يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس، والاصطفاء افتعال من التصفية، كما أن الاختيار افتعال من الخيرة فيختار من يكون مصطفى، وقد قال: (وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله) [الأنعام: ١٢٤] فهو أعلم بمن يجعله رسولا ممّن لم يجعله رسولاً"[٥٤].

حكم بعثة الأنبياء للناس فيها أقوال:

القول الأول: بعثة الأنبياء واجبة على الله تعالى عند المعتزلة[٥٥]، والشيعة[٥٦]، وعند المتفلسفة[٥٧].

القول الثاني: جواز بعثة الأنبياء عند السلف[٥٨]، والأشاعرة، قال الجويني[٥٩]: باب القول في إثبات النبوات: من أعظم أركان الدين والمقصود منه في المعتقد يحصره خمسة أبواب، أحدها: إثبات جواز انبعاث الرسل[٦٠]".

---

(٥٣) فكرة الطباع التام هي: اسم آخر للعقل الفعال، استعملها الفلاسفة ويقصدون بها العقل الفعال، ومنهم السهروردي زميل الرازي، وتأثر بها الرازي. ينظر: المرجع السابق ٥٥٨. والعقل الفعال هو: القوة الإلهية التي يهتدي بها كل شيء في العالم العلوي والسفلي، من الأفلاك والكواكب والجماد والنبات والحيوان والإنسان لاجتلاب مصلحته. معجم المصطلحات العلمية العربية للكندي والفارابي وابن سينا والغزالي، تحقيق فايز الداية، ط١، دار الفكر، ١١٠.

(٥٤) منهاج السنة النبوية ٥/٤٣٧.

(٥٥) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار ٥٦٤.

(٥٦) عقائد الإمامية، لإبراهيم الزنجاني ٣٨- ٣٩.

(٥٧) الشفاء، لابن سينا ٢ج/١ ٤٤١-٤٤٢.

(٥٨) النبوات، لابن تيمية ١/٣٣-٣٤.

(٥٩) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعيّ، ولد في جوين -من نواحي نيسابور- سنة تسع عشرة وأربعمائة، ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين، وذهب إلى المدينة فأفتى

وقال صاحب المواقف[٦١]: "اعلم أن الأمة قد أجمعت على أن الله لا يفعل القبيح ولا يترك الواجب، فالأشاعرة من جهة أنه لا قبيح منه ولا واجب عليه"[٦٢].
فالنبوة غير واجبة على الله عند الأشاعرة؛ لأن الله لا يجب عليه شيء ولا يفعل القبيح.
أما حكم بعثة الأنبياء عند الرازي فله فيها أقوال في مواضع من كتبه، وأوقات مختلفة:
القول الأول: جواز بعثة الأنبياء؛ حيث عقد الباب الأول في كتابه الإشارة في علم الكلام: في جواز بعثة الرسل وشرائط المعجزات قال: "بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام غير مستحيلة، ولا يمتنع في العقول أن يرسل الله تعالى شخصا معينا إلى غيره من الخلائق؛ ليبين لهم الأحكام من الحلال والحرام، ويؤيده بالدلائل الظاهرة...، وقد بينا أنه ليس مستحيلا من جهة التحسين والتقبيح العقليين، فلم يبق إلا القطع بجواز بعثتهم"[٦٣]. ذكر أن جواز البعثة راجع لاحتياج الناس لمعرفة الشرائع والأحكام، وقوله: جاء ردا على من قال باستحالة البعثة وهم البراهمة[٦٤] المنكرين للنبوات، فقوله: بالجواز يوافق فيها أصحابه الأشاعرة، وهو الغالب عليه.
القول الثاني: النبوة واجبة، ذكره في كتابه المباحث المشرقية يقول: "إن العناية الإلهية لما لم تهمل المنافع الجزئية مثل: تقعير الأخمص، وإنبات الشعر على الأهداب

ودرس، جامعا طرق المذاهب، ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك "المدرسة النظامية" فيها، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء، له مصنفات كثيرة، منها: غياث الأمم والتياث الظلم، والعقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، والبرهان في أصول الفقه، مات سنة ثمان وسبعين وأربعمائة. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/ ١٦٥)، الأعلام للزركلي (٤/ ١٦٠).
(٦٠) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للجويني ٢٤٢.
(٦١) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي -بكسر الهمزة، وإسكان المثناة من تحت، ثم جيم مكسورة- عالم بالأصول والمعاني والعربية، من أهل إيج بفارس، ولي القضاء، وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات مسجونا، وكان إماما في علوم متعددة ذا تصانيف مشهورة، منها: (المواقف) في علم الكلام، و(العقائد العضدية)، و(جواهر الكلام) مختصر المواقف، و(شرح مختصر ابن الحاجب) في أصول الفقه، وغيرها، مات سنة ست وخمسين وسبعمائة. ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/ ٢٧)، الأعلام للزركلي (٣/ ٢٩٥).
(٦٢) المواقف في علم الكلام، للإيجي، عالم الكتب، ٣٢٨.
(٦٣) الإشارة في علم الكلام، للرازي، تحقيق: هاني محمد، المكتبة الأزهرية للتراث ١٤٤٠ه، ٣٠١.
(٦٤) البراهمة: فرقة تنسب إلى براهما، رجل مذكور منهم، وهو الذي مهد لهم نفي النبوات، وقرر استحالتها عقلا، وهم تفرقوا إلى أصناف. الملل والنحل، الشهرستاني، دار الحلبي، ٩٣/٣

والحاجبين، فكيف تهمل وجود هذا الشخص الذي هو سبب نظام العالم، فهذا ما نقوله في إثبات النبوة"[٦٥].

بهذا الرأي يوافق الفلاسفة والمعتزلة في وجوب النبوة، مستندا لدليل عقلي وهو: كونها ضرورة لتعليم الناس أصول الدين ولحاجتهم لذلك؛ فالإنسان مدني بطبعه، ولا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الناس، فاجتماع الناس يحتاج إلى نظام وشريعة لتنظم أمورهم، فإذن كانت حاجتهم إلى هذه الأمور ضرورية ولازمة؛ فاحتياج الناس إلى النبوة أشد وأعظم[٦٦].

فالرازي ارتضى هذا الرأي من ابن سينا في وجوب النبوة في كتابه الشفاء، حيث عقد فصلا في إثبات النبوة وكيفية دعوة النبي إلى الله يقول ما نصه: "فالحاجة إلى هذا الإنسان في أن يبقي نوع الإنسان، ويتحصل وجوده، أشد من الحاجة إلى إنبات الشعر على الأشفار وعلى الحاجبين وتقعير الخمص من القدمين، وأشياء أخرى من المنافع التي لا ضرورة لها في البقاء... فواجب إذن أن يوجد نبي"[٦٧].

يظهر ذلك على الرازي بعباراته فهو ينقل لقول ابن سينا بأن النبوة ضرورة يقتضيها الاجتماع الإنساني.

القول الثالث: الجواز، رجع للقول الأول، وذكر في شرح الإشارات جواز بعثة الأنبياء بقوله: "ليس كل ما كان أصلح لهذا العالم وجب حصوله في هذا العالم، فإن أهل العلم لو كانوا مجبولين على الخيرات والفضائل لكان أصلح من أن يكونوا على ما هم عليه الآن، مع أن ذلك لم يوجد، فإذا كان كذلك جاز أن يقال: وجود النبي أصلح من عدمه مع أنه لا يوجد أصلا"[٦٨]؛ فالرازي انتقد القائلين بالوجوب، بأن الله يفعل الخير وأن الخير بوجود شريعة تنظم أحوالهم، لكن مع هذا لا يسلم بوجوب أن يبعث الله رسولا.

وبذلك يتبرأ من قوله السابق، بل وانتقد رأيهم بالوجوب، وساق ما يبين تناقضه لقوله السابق بأن هذا القول غير لائق بأصول الفلاسفة، من أن الله غير عالم بالجزئيات ولا فاعل بالاختيار؛ لأن ابن سيناء بين أن السبب في تمكن الرسول من المعجزات هو اختصاص نفسه بقوة لأجلها يتمكن من تلك المعجزات، ولأن المعجزات إنما تدل على الصدق؛ لأنها قائمة مقام تصديق الله تعالى للنبي، ويقول الرازي: "وهذا مبني على أنه تعالى عالم بالجزئيات، وفاعل بالاختيار، والقوم ينكرونه؛ فكيف يستقيم لهم هذا الكلام؟"[٦٩]، فهذا التصديق للمعجزة مبني على علمه سبحانه بالجزئيات وكونه فاعل

[٦٥] المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات، للرازي، ٥٢٤/٢.
[٦٦] راجع: النبوات ٢٤٥/١، وفخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية ٥٥٠، ومقدمة ابن خلدون، لابن خلدون ١٣٩/١.
[٦٧] الشفاء، لابن سيناء -الإلهيات ج٢/ ٤٤١-٤٤٢.
[٦٨] شرح الإشارات والتنبيهات، للرازي، تحقيق: علي رضا، ج٢: ٥٩٧.
[٦٩] المرجع السابق ٥٩٧/٢-٥٩٨.

بالاختيار، وهم لا يقولون بذلك فيوقعون أنفسهم بالتناقض من خلال إيجاب النبوة على الله تعالى لإصلاح أحوال الناس، وانتظام شرائعهم، ويجعلونها من مقاصد النبوة[٧٠].

وفي كتابه التفسير له قول يعلل ويذكر المبرر فيه، أن الوجوب وجوب رحمة وفضل فهو يبرر قوله السابق في الوجوب فأراد تبريره حتى لا يوصف بالتناقض ولعل الرازي يدرك هنا تناقضه وهذا شاهد على وعيه بالتناقض، بقوله: "ثم إنه تعالى أكمل عقولهم ومكنهم من الخير والشر، ثم علم تعالى أن عباده لا يشتغلون بما كلفوا به، إلا إذا أرسل إليهم رسولا ومنبها، فعند هذا يجب وجوب الفضل والكرم والرحمة أن يرسل إليهم ذلك الرسول"[٧١]. فكأنه يميل للقول بالجواز، ونقد القول الأول، ويخفف من الوجوب بالبحث عن مبرر كونه رحمة وفضلا .

القول الرابع: وفي آخر كتبه المطالب العالية، وهو الرأي الذي انتهى إليه:

وضح المقصود من الرسالة إذ يقول: "إن حرفة النبوة والرسالة عبارة عن دعوة الخلق من الاشتغال بالخلق إلى خدمة الحق، ومن الإقبال على الدنيا إلى الإقبال على الآخرة فهذا هو المقصود الأصلي، إلا أن الناس لما كانوا حاضرين في الدنيا، ومحتاجين إلى مصالحها؛ وجب أن يكون له خوض في هذا الباب أيضا بقدر الحاجة"[٧٢]، بيَّن أن النبوة والرسالة عبارة عن دعوة الخلق من الاشتغال بالخلق إلى خدمة الحق، ومن الإقبال على الدنيا إلى الإقبال على الآخرة وهذا هو المقصود الأصلي، وبين أن الناس لما كانوا حاضرين في الدنيا ومحتاجين إلى مصالحها؛ وجب أن يكون للنبي خوض في هذا الباب بقدر الحاجة[٧٣].

فهو بقوله يبين الوظيفة والمقصد الأصلي من النبوة، وهو: دعوة الخلق إلى الحق والإقبال على الآخرة،[٧٤] وأن تنظيم أمور الناس وأحوالهم المعيشية يأتي فرع وتبع لذلك، بعيدا عن بيان الحكم في البعثة متوقفا عن الخوض في ذلك، وفي هذا القول شيء من التصوف، والميل إلى الانكفاء عن الدنيا.

---

[٧٠] ينظر: شرح الإشارات ٢/٥٩٧-٥٩٨ وفخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية ٥٥١.

[٧١] التفسير الكبير، للرازي ١٧/١٨٥.

[٧٢] النبوات وما يتعلق بها ١٨٣.

[٧٣] ينظر: المطالب العالية من العلم الإلهي، للرازي ٨/ ١١٥، والنبوات وما يتعلق بها، للرازي ١٨٣.

[٧٤] وهو قول الفلاسفة فقد ذكر ابن رشد ذلك في كتابه فصل المقال تحقيق محمد عمارة الناشر:دار المعارف ط٢: يقول:" مقصود الشرع إنما هو تعليم العلم الحق والعمل الحق هو معرفة الله تبارك وتعالى وسائر الموجودات على ما هي عليه، وبخاصة الشريفة منها، ومعرفة السعادة الأخروية والشقاء الأخروي.والعمل الحق هو امتثال الأفعال التي تفيد السعادة، وتجنب الأفعال التي تفيد الشقاء" ٥٤ .وانظر النجاة في المنطق والإلهيات :١٧٦-١٧٧.

خلاصة الأمر: يظهر تناقض الرازي في أقواله، ففي قوله الأول موافقًا لمذهبه من الأشاعرة القائلين بالجواز، ثم نجده بقوله الثاني متأثرًا بالفلاسفة؛ وذلك من خلال نقل ألفاظ ابن سينا، ثم خرج وانتقد القول بالوجوب في كتابه شرح الإشارات وقال بالجواز، ثم في التفسير حاول فيه التعليل وانتقل إلى طور آخر وهو التخفيف من الوجوب إلى الوجوب رحمة وفضلا، ثم انتهى به الأمر في آخر كتبه إلى التوقف عن القول بالوجوب أو الجواز والإقبال على الله بصورة فيها شيء من التصوف والميل إلى الانكفاء عن الدنيا من خلال ذكر المقصد الأصلي للنبوة.

المبحث الثاني: تناقضات الرازي العقدية في مسائل النبوات:

المطلب الأول: إثبات النبوة :

مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات النبوة عندهم: أن النبوة تثبت بأدلة كثيرة ومتنوعة، ولا يوقف إثباتها على المعجزات، يقول ابن أبي العز الدمشقي (ت٧٩٢): "ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات"[٧٥].

وللرازي قولان في إثبات النبوة في كتبه:

القول الأول: أن محمدا عليه الصلاة والسلام ادعى النبوة وأظهر المعجزة على وفق دعواه، وكل من كان كذلك فهو رسول حقا، ذكره في معظم كتبه[٧٦]، فقد ذكر في أول كتبه المسائل الخمسون: "المسألة الأربعون في نبوة محمد عليه السلام وعلى آله وأصحابه، الدليل عليها: هو أن محمدا عليه السلام ادعى النبوة وأظهر المعجزة على وفق دعوته، وكل من كان كذلك فهو رسول، وبين بأنه أظهر المعجزة على وفق دعواه، بمعنى أنه شق له القمر نصفين، وهذه معجزه ظاهرة وثبتت بالصحيح والتواتر، وأما كونها دليل على النبوة، فلو ظهرت المعجزة عن الكذاب لم يكن الله قادرا على التمييز بين مدعي الصدق ومدعي الكذب، وعدم القدرة والعجز محال على الله فثبت أنه سبحانه أرسل محمدا بالحق إلى الخلق"[٧٧]، فالرازي في هذه المسألة قد حصر إثبات النبوة على الادعاء، واشترط ظهور المعجزة الحسية، ولم يذكر إعجازه بالقرآن والآيات الأخرى، مع ورودها ودلالتها على نبوته، والقرآن هو المعجزة والآية الكبرى، وختم قوله بأن كل من كان كذلك فهو رسول حق.

وفي كتابه نهاية العقول: "ذكر الأصل السادس عشر في النبوات وما يتعلق بها، وفيه ثلاث مسائل: المسألة الأولى: في إقامة الدلالة على أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم: يدل عليه أنه عليه السلام ادعى النبوة وظهر المعجز عليه، وكل من كان

---

[٧٥] شرح العقيدة الطحاوية ١٤٨.

[٧٦] المسائل الخمسون في أصول الدين، للرازي ٦٤، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ٢٠٨، معالم أصول الدين، للرازي ٩٧، نهاية العقول في دراية الأصول، للرازي ٣/٣٤٥.

[٧٧] المسائل الخمسون في أصول الدين ٦٤.

كذلك كان نبيا ..."[٧٨]، وفصل في ذكر المعجزة، وبيّن كونه ادعى النبوة للتواتر، وظهور المعجز عليه، وبين الأوجه بذلك كون الإعجاز بالقرآن والتحدي بفصاحته وعدم معارضته، وبأخباره عليه السلام عن الغيب، وأنه جاءت الأخبار الكثيرة عن معجزاته، وأن إظهار المعجز عليه يقوم مقام التصديق، وكل من صدقه الله فهو صادق.

ففي كتابه النبوات يؤكد بقوله: "ظهور المعجزات على يده، يدل على صدقه، ثم إنا نستدل بقوله على تحقيق الحق وإبطال الباطل، وهذا هو الطريق الأول، وعليه عامة أرباب الملل والنحل"[٧٩]، وذكر بقولٍ مُشَابه له في كتابه المحصل يقول: "أنه ادعى النبوة وعليه التعويل وظهر المعجز عليه، وكل من كان كذلك كان نبيا، وإنما قلنا له أنه ظهر المعجز على يده، فلثلاثة أوجه: أحدها: أنه أتى بالقرآن والقرآن معجز ...، وثانيها :أنه نُقل عنه معجزات كثيرة، منها: إشباع الخلق الكثير من الطعام القليل، ونبوع الماء من بين أصابعه...، وثالثها: أنه أخبر عن الغيب، والإخبار عن الغيب معجز"[٨٠]. فالرازي بهذا القول يبرهن ويقيم الدلالة على نبوة محمد، ويحصر ادعاء النبوة بثلاث: القرآن، وإخباره عن الغيب، وما جاءت به الأخبار، ويتوسع في الحديث عن ذلك، ويقيمها مقام التصديق مما هو معلوم، بل إنه يستقرأ النصوص، ويجيب المعارض لأجل إثبات صحة القول، وقصر النبوة على ما ذكر.

إلا أنه في كتابه المحصل، وكتاب معالم أصول الدين: بعد ذكره للدليل السابق أضاف عليهما طريقا آخر ففي المحصل ذكر: "الطريق الثاني: إثبات نبوته عليه السلام بالاستدلال بأخلاقه وأفعاله وأحكامه وسيره، فإن كل واحد منها، وإن كان لا يدل على النبوة، لكن بمجموعها؛ مما يعلم قطعا أنه لا يحصل إلا للأنبياء، وهذه الطريقة اختارها الجاحظ[٨١] ، وارتضى بها الغزالي[٨٢] في كتابه المنقذ"[٨٣]، وفي معالم أصول الدين

---

[٧٨] نهاية العقول في دراية الأصول ج٣/٣٤٥-٣٤٩.

[٧٩] النبوات وما يتعلق بها ١٧١.

[٨٠] محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ٢٠٨.

[٨١] هو: عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ، كان عالِمًا بالأدب، فصيحًا، بليغًا، مصنفًا في فنون العلوم، وكان من أئمة المعتزلة، تلميذ النَّظَّام، وكان من الذكاء وسرعة الخاطر والحفظ بحيث شاع ذكره وعلا قدره، له تصانيف كثيرة، منها: الحيوان، والبيان والتبيين، وغيرها، توفي سنة خمس وخمسين ومائتين. ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب (١٤/ ٢٠٨)، معجم الأدباء، للحموي (٥/ ٢١٠١)، الأعلام، للزركلي (٥/ ٧٤).

[٨٢] هو الإمام الفقيه حجة الإسلام زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الطوسي الشافعي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط، ولد بطوس سنة خمسين وأربع مائة وتفقه بها أولا، ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة، فلازم إمام الحرمين، فبرع في الفقه في مدة قريبة، ومهر في الكلام والجدل، حتى صار عين المناظرين، له الكثير من التصانيف منها: «إحياء علوم الدين»، و«المستصفى»، و«الاقتصاد في الاعتقاد»، مات

بقوله : "وأما في المقام الثاني فذكر فيه أن كل مَن كان كذلك كان نبيا، ودلل عليه أن الملك العظيم إذا حضر في المحفل العظيم فقام واحد وقال: يأيها الناس أنا رسول هذا الملك إليكم، ثم قال أيها الملك إن كنت صادقا في كلامي فخالف عادتك وقم عن سريرك، فإذا قام ذلك الملك عند سماع هذا الكلام عرف الحاضرون بالضرورة كون ذلك المدعي صادقا في دعواه، فكذا هنا ههنا تمام الدليل، ثم ذكر طريقا آخر في المسألة: أن كل ما أتى به من الأقوال والأفعال، فهو أفعال الأنبياء فوجب أن يكون هو نبيًّا صادقًا حقًّا من عند الله تعالى[٨٤]". فالرازي يبرز طريقا ثانيا لإثبات النبوة بالاستدلال بأفعاله وأقواله عليه الصلاة والسلام، بعد ثبوت المعجزة كونه نبيا صادقا، والاستدلال بأخلاقه وأقواله وأفعاله وسيرته الحسنة عليه الصلاة والسلام وما جاء به، دليل على أنه نبي مرسل.

فالقول الأول للرازي اتبع ما ذكره الأشاعرة[٨٥] في إثبات النبوة بالمعجزات فقط، ومال إلى قولهم بذلك، إلا أن النبوة عند الرازي لا تثبت بالمعجزة فقط، بل توسع فيما ذكرنا من كتبه بذكر طريق آخر.

القول الثاني: ثبوت نبوته بدعوته للحق وقدرته على تكميل الناقصين، ذكره في التفسير الكبير وفي آخر كتبه المطالب العالية: ذكر في التفسير ثبوت النبوة بالمعجزة وأن لها أمران: "اعلم أن الطريق إلى إثبات نبوة الأنبياء عليهم السلام أمران: الأول: أن تقول إن هذا الشخص قد ادعى النبوة وظهرت المعجزة على يديه؛ وكل من كان كذلك فهو رسول من عند الله حقا وصدقا...، وأما الطريق الثاني: فهو أن نعلم بعقولنا أن الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما هو، فكل من جاء ودعا الخلق إليه وحملهم عليه وكانت لنفسه قوة قوية في نقل الناس من الكفر إلى الإيمان، ومن الاعتقاد الباطل إلى الاعتقاد الحق، ومن الأعمال الداعية إلى الدنيا إلى الأعمال الداعية إلى الآخرة؛ فهو النبي الصادق المصدوق"[٨٦]، واختار الطريق الثاني وذكر أنه طريق كاشف لحقيقة النبوة، معرف لماهيتها[٨٧]؛ فالاستدلال بالمعجز الذي يسميه المنطقيون برهان الإن[٨٨]، وبين أن

سنة خمس وخمس مائة. ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢١٦)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٣)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦/ ١٩١).

[٨٣] المرجع السابق ٢٠٨. والغزالي ذكر في كتابه المنقذ من الضلال، دار الكتب الحديثة ١٨٦: "فمن هذا الطريق اطلب اليقين بالنبوة"

[٨٤] معالم أصول الدين، للرازي ٩٧-٩٩.

[٨٥] الإرشاد إلى قواطع الأدلة ٢٥٨-٢٥٩. والمواقف في علم الكلام ٣٤٩.

[٨٦] التفسير الكبير ١٧/٢٦٧-٢٦٨.

[٨٧] سبق بيانه في المطلب الأول مسألة حقيقة النبوة في بيان استعمال هذا الطريق ومعرفة المطلوب بطرق مسالكها صعبة المرام لا يليق بالشرع في الحدود وبيان ماهيتها من حيث ربطها بأدلة شرعية.

الطريق الثاني يسمونه برهان اللم فمعنى النبوة هي شخص بلغ في الكمال في القوة النظرية وفي القوة العملية [٨٩]، وهو أشرف وأعلى وأكمل"، وضح الطريق الكاشف لحقيقة النبوة وماهيتها، فالرازي نجده يستدل بدلالات منطقية، ويربط الأدلة الشرعية وتأويلها بهذه الدلالات، فينهج بإثبات النبوة منهجا منطقيا يخالف ما سار عليه في القول الأول، وانتقل من المنهج الشرعي للجمع بينه وبين المنهج المنطقي، بإثبات أن للنبوة طريقين الأول: ثبوت نبوته بالمعجزات التي أجراها الله على يديه وسماها برهان الإن، والثاني: ثبوت نبوته بدعوته للحق وبيان محاسن الشريعة، وقدرة النبي صلى الله عليه وسلم على نقل الناس للحق.

وفي آخر كتبه المطالب العالية: في الفصل الأول في تمييز هذا الطريق عن الطريق المتقدم، وهو الصواب عنده، وقدم له بمقدمات "أن نعرف أولا أن الحق والصدق في الاعتقادات ما هو؟ وأن الصواب في الأعمال ما هو؟ فإذا عرفنا ذلك، ثم رأينا إنسانا يدعوا الخلق إلى الدين الحق، ورأينا أن لقوله أثرا قويا في صرف الخلق من الباطل إلى الحق؛ عرفنا أنه نبي صادق، واجب الاتباع، وهذا الطريق أقرب إلى العقل، والشبهات فيه أقل"[٩٠].

وساق الرازي فيه مقدمات للدلاله بمجملها على أن هذا الدليل هو الحق، وعقد فصلا بعده في أن القرآن العظيم يدل على أن هذا الطريق هو الطريق الأكمل والأفضل في إثبات النبوة، فذكر سورا من القرآن وفسرها ليظهر صحة هذا الطريق، فذكر سورة الأعلى، ولما قرر أمر الإلهيات فيها، أتبعه بأمر النبوات، وذكر أن كمال حال الأنبياء عليهم السلام في حصول أمور أربعة:

١- كمال القوة النظرية.
٢- كمال القوة العملية.
٣- قدرته على تكميل القوة النظرية لغيره.

---

(٨٨) برهان الإن أو الإني: هو برهان منطقي، هو الذي يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة في الذهن فقط، يقول ابن سينا: "وأما برهان الإن فهو الذي يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة في الذهن والتصديق بها لا غير". النجاة، لابن سينا ١٠٣ وينظر: المعجم الفلسفي، لجميل صليبيا ١٠٦/١.

(٨٩) برهان اللم أو اللمي: هو برهان منطقي، فهو الذي يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة في الذهن والوجود، وذكر ابن سينا: "وبرهان اللم هو الذي ليس إنما يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة عند الذهن والتصديق بها فقط، حتى تكون فائدته أن القول لم يجب التصديق به، بل يعطيك أيضًا مع ذلك علة اجتماع طرفي النتيجة في الوجود. ينظر: المعجم الفلسفي، لجميل صليبيا ١٠٦/١ والنجاة، لابن سينا ١٠٣.

(٩٠) المطالب العالية من العلم الإلهي، للرازي ١٠٣، وذكره في كتاب النبوات وما يتعلق بها، وهو القسم الثاني من المطالب العالية للرازي ١٧١، ومعالم أصول الدين، للرازي ١٠١.

٤- قدرته على تكميل القوة العملية التي لغيره.
وقرر الرازي أنه إذا ظهر كماله في هذه المقامات الأربعة؛ فحينئذ يظهر أنه بلغ في صفة النبوة والرسالة إلى الغاية القصوى. فالرازي بهذه الأدلة التي ساقها بالاستقراء، ورَبْط الأدلة الشرعية، وتفسير معانيها بألفاظ فلسفية، وتأويلات فلسفية تجنح للترميز والتأويل الباطني، يناقض فيها ما سار عليه في منهجه.
كما أنه ذكر في كتابه معالم أصول الدين ما يثبت أن هذا الطريق هو الأكمل والأفضل من القول الأول، وذكر أنه يجري مجرى برهان اللم، "فمعنى النبوة هي شخص بلغ في الكمال في القوة النظرية وفي القوة العملية إلى حيث يقدر على معالجة الناقص في هاتين القوتين[٩١]"، وذلك عند تقريره لطريقة الاستدلال بأقواله وأفعاله على كونه نبيا، وبيّن أن الطريق الأول يجري مجرى برهان الإن، فإنا نستدل بحصول المعجزات على كونه نبيا، وهو يجري مجرى الاستدلال بأثر من آثار الشيء على وجوده، ولا شك أن برهان اللم أقوى من برهان الإن[٩٢].
فالرازي في هذا القول انتهج منهجا منطقيا في الاستدلال على النبوة، وهو الاستدلال بأثر على المؤثر، فطريقته تناقض طريقته في قوله الأول، إثبات النبوة متوقف على قدرة وتأثير النبي في صرف قلوب الناس من الباطل للحق، وحصر صدق النبوة بإصلاح النفوس، ثم تجده يقرر أن العقل هو الحكم والشبهات أقل، وفي ذلك تقديم مقدمات لتبرير يقوي قوله؛ ليعزز من هذا الدليل، وهذا خطأ وتناقض بين القولين، ومحاكاة ذلك بأسلوب منطقي، واستخدام الدليل العقلي وهو القياس اليقيني عند المناطقة والأشاعرة المتأخرين .

المطلب الثاني :تناقضات الرازي في التفاضل بين الملائكة والأنبياء:

المفاضلة بين الملائكة والأنبياء من المسائل المتأخرة التي كثر الكلام فيها في كتب المتأخرين من أهل العلم، وعدوها من فضول المسائل، مع اتفاقهم على أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم هو أفضل الخلق بلا خلاف. وقال البيهقي[٩٣] في شعب الإيمان في هذه المسألة: "والأمر فيه سهل، وليس فيه من الفائدة إلا معرفة الشيء على ما هو به"[٩٤].

---

[٩١] معالم في أصول الدين ١٠١.
[٩٢] معالم أصول الدين، للرازي ٩٩-١٠٠.
[٩٣] هو الحافظ العلامة، الثبت، الفقيه، شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي، الخراساني البيهقي، ولد في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاث مائة من الهجرة، وسمع من أبي الحسن محمد بن الحسين العلوي، والحاكم أبي عبد الله الحافظ، وأبي طاهر بن محمش الفقيه، وعبد الله بن يوسف الأصبهاني وغيرهم، وانقطع بقريته مقبلا على الجمع والتأليف، فصنف السنن الكبرى، وألف كتاب معرفة السنن والآثار، وغيرها، توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. ينظر: وفيات الأعيان (١/ ٧٥)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٣)، والوافي بالوفيات (٦/ ٢١٩).
[٩٤] شعب الإيمان، للبيهقي ٣٢٢/١.

وقال ابن أبي العز الحنفي: "وكنت ترددت في الكلام على هذه المسألة، لقلة ثمرتها، وأنها قريب مما لا يعني، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"[٩٥]، وقال أيضًا: "وحاصل الكلام: أن هذه المسألة من فضول المسائل، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول[٩٦]".

والحديث في هذه المسألة عن التفاضل بين الملائكة والأنبياء فقد قال فيها ابن تيمية: "المسألة على هذا الوجه لست أعلم فيها مقالة سابقة مفسرة، وربما ناظر بعض الناس على تفضيل الملك، وبعضهم على تفضيل البشر، وربما اشتبهت هذه المسألة بمسألة التفضيل بين الصالح وغيره"[٩٧].

وخلاصة الأقوال فيها بين أهل العلم ثلاثة:

القول الأول: تفضيل الأنبياء على الملائكة، وهو مذهب جمهور أهل السنة والجماعة[٩٨]، والشيعة[٩٩]، وجمهور الأشاعرة[١٠٠]، واستدلوا بأدلة ظاهرة الدلالة على قولهم كقوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) [سورة البقرة: ٣٤]، والفاضل لا يسجد للمفضول، وقوله تعالى: (وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ) [سورة الدخان: ٣٢]، وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) [سورة آل عمران: ٣٣]، وهذا في حق الأنبياء. **القول الثاني:** تفضيل الملائكة على البشر مطلقا، وهو قول المعتزلة[١٠١]، وبعض الأشاعرة؛ كالباقلاني[١٠٢]، والحليمي[١٠٣]، وابن حزم[١٠٤]، والفلاسفة[١٠٥].

---

(٩٥) شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: الأرناؤوط، ٢/ ٤١٠.

(٩٦) المرجع السابق ٢/ ٤٢٣.

(٩٧) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٤/ ٣٥٤.

(٩٨) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي ١٣٠٨/٧، لوامع الأنوار البهية، للسفاريني ٤٠٠/٢، ومباحث المفاضلة في العقيدة، لمحمد عبد الرحمن الشظيفي ٣٥٤-٣٥٥.

(٩٩) عقائد الإمامية الإثني عشرية، للزنجاني ٤٥.

(١٠٠) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري ١٨٠/١-١٢٦/٢ المواقف في علم الكلام، للإيجي ٤٦٧، والتفسير الكبير للرازي ٤٣٠/٢.

(١٠١) المواقف في علم الكلام، للإيجي ٤٦٧، والتفسير الكبير، للرازي ٤٣٠/٢-٤٤٠-٤٤١.

(١٠٢) هو محمد بن الطيب بن محمد، أبو بكر القاضي، المعروف بالباقلاني، نسبة إلى الباقلاء وبيعه -والباقلاء هو الفول-، ولد سنة ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وسكن بغداد، قال الخطيب: «كان متكلما على مذهب الإمام الأشعري من أهل البصرة، وكان ثقة. فأما علم الكلام فكان أعرف الناس به، وأحسنهم خاطرا، وأجودهم لسانا، وأوضحهم بيانا، وأصحهم عبارة، وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين من الرافضة، والمعتزلة، والجهمية، والخوارج، وغيرهم»، ومن مصنفاته: «إعجاز القرآن»، و«الإنصاف» و«مناقب الأئمة»، توفي سنة ثلاث وأربعمائة. ينظر: الأنساب للسمعاني (٢/ ٥٢)، تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٤)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠)، الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٦).

القول الثالث: التوقف عن المسألة والسكوت عن التفضيل فيه[١٠٦]، وبعضهم حاول التوفيق بين الرأيين ابن تيمية ذكر قولًا: "صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلامسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر. وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير صالحو البشر أكمل من حال الملائكة"[١٠٧].

أما أقوال الرازي في هذه المسألة: عند النظر أجد أن الرازي في كتابه الأربعين الذي يعد من كتبه المتقدمة يذكر المسألة الثالثة والثلاثين في أن الملائكة أفضل أم الأنبياء عليهم السلام؟[١٠٨]، ويكتفي بذكر الأقوال والإطالة بعرض الحجج ومناقشتها دون ترجيح للرأي.

أما كتابه المطالب العالية -الذي يعد من آخر كتبه- فقد تطرق لهذه المسألة بالفصل التاسع في الكلام في أن الملائكة أفضل أم البشر؟ حيث يؤكد أنه لا مناسبة بين الملائكة وبين البشر، وأن من بحث في هذه المسألة فلأنه لا يعرف حقيقة الملائكة، وإنما

---

(١٠٣) المنهاج لشعب الإيمان، للحليمي ٣٠٩/١، والأربعين في أصول الدين، للرازي ١٧٧/٢، مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري ١٨٠/١-١٢٦/٢، وأصول الدين، للبغدادي ١٦٦-١٦٧.

والحليمي هو: أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الفقيه الشافعي المعروف بالحليمي الجرجاني؛ رئيس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر، ولد بجرجان سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وحمل إلى بخاري، وكتب الحديث ثم صار إماما معظما مرجوعا إليه بما وراء النهر، وله في المذهب وجوه حسنة، وحدث بنيسابور وروى عنه الحافظ الحاكم وغيره، وتوفي سنة ثلاث وأربع مائة. ينظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٣٧)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣١).

(١٠٤) هو الإمام، العلامة، الفقيه، الحافظ، أحد الأعلام، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي، الظاهري، صاحب التصانيف، ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وكان إليه المنتهى في الذكاء والحفظ، والاطلاع على العلوم، وكان أولا شافعيا، ثم صار ظاهريا مجتهدا، وصنف كتبا كثيرة منها: "الإحكام لأصول الأحكام"، و"المجلى" في الفقه، وشرحه هو "المحلى بالآثار"، و"الفصل في الملل والنحل" وغيرها، مات ليومين بقين من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة. ينظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص: ٤١٥)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤)، تاريخ الإسلام (١٠/ ٧٤).

(١٠٥) المواقف في علم الكلام، للإيجي ٤٦٧، والتفسير الكبير، للرازي ٤٣٠/٢، والمحصل، للرازي ٢٢١، الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم ١٧/٥-١٨، الشفاء، لابن سينا ٤٣٥.

(١٠٦) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٣٥٦/٤.

(١٠٧) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٣٤٣/٤.

(١٠٨) الأربعين، للرازي ١٧٧-١٩٨.

يسمع بهم فيظنهم طيورا تطير في السماوات إذ يقول: "اعلم: أن من عرف أن الملك ما هو؟ وكيف صفاته؟ لم يأذن له عقله في أن يخوض في هذا البحث، إلا أن أكثر الناس ظنوا أن الملائكة طيور تطير في السماوات ، فلهذا السبب وقعوا في هذا البحث..."(١٠٩)، ثم ذكر ثلاث حجج للقائلين بتفضيل الأنبياء على الملائكة، وأجاب عنها وأعقبها بذكر دلائل القائلين أن الملك أفضل من البشر، وأنها نوعان: سمعي، وعقلي فلسفي، وذكر عشرين وجها سمعيا للقول الثاني، وناقشها وساق الدلائل الفلسفية، وصرح بأن المراد بالملائكة: العقول الفلكية والنفوس الفلكية التي هي الأجرام الأفلاك، وكل هذا العالم الأسفل بالنسبة إليها كالمركز بالنسبة إلى الدائرة، وكالقطرة بالنسبة إلى البحر، وكالشعلة بالنسبة إلى الشمس؛ فكيف يليق بالعاقل أن يجعل هذه المقدمة موضع البحث والنظر.."(١١٠)، وختم هذا الفصل بقوله: "فكيف يخطر ببال العاقل إثبات مناسبة بين البابين؟(١١١) "دون تصريح للرأي الراجح فيها، إلا أن ميله لتفضيل الملائكة بين فيه؛ ومع ذلك يحسن أن ننبه في ذلك إلى تأثر الرازي بالفلاسفة من خلال تعريفه للملائكة بأنها عقول فلكية ونفوس فلكية، وتقسيمه للعالم إلى علوي وسفلي(١١٢).

فالرازي -عند التحقيق- له في هذه المسألة -في كتبه الأخرى- قولان:

القول الأول: الملائكة أفضل من الأنبياء، حيث يصرح الرازي في كتاب المعالم بقوله: "المختار عندي أن الملك أفضل من البشر"(١١٣)، فهو يرجح تقديم الملائكة على الأنبياء ويذكر الأدلة عليه:

١- أنه سبحانه وتعالى لما أراد أن يقرر عظمته عند الخلق استدلّ بكونه إلها للسماوات والأرض وما بينهما؛ فقال سبحانه وتعالى: (رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا) [النبأ: ٣٧]، ثم لما أراد التأكيد لهذا المعنى قال بعده: (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) [النبأ: ٣٨]، فلو لا أن الملائكة أعظم المخلوقات درجة، وإلا لما صح هذا الترتيب.
٢- كما أنه استدل بالترتيب الصحيح؛ لأن الإله هو الموجود الأشرف، ويتلوه في درجته الملائكة، ثم إن الملك يأخذ الكتاب من الله تعالى ويوصله إلى الرسول، وهذا يقتضي أن يكون الترتيب على وفق ما ورد في القرآن الإله والملك والكتاب والرسول، وهو يدل على شرف الملك على البشر.

(١٠٩) المطالب العالية من العلم الإلهي ٧/ ٤٠٥.
(١١٠) المرجع السابق ٧/ ٤٢١.
(١١١) المرجع السابق ٧/٤٢٨.
(١١٢) المطالب العالية من العلم الإلهي ٧/٨-٩، وتسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، لابن سيناء ٩٨-١٣٢.
(١١٣) معالم في أصول الدين، للرازي ١٠٨-١٠٩.

٣- ذكر الفرق بين الملائكة[١١٤] والبشر؛ فالملائكة جواهر مقدسة عن ظلمات الشهوات والغضب، وطعامهم التسبيح، وشرابهم التهليل والتقديس، وأنسهم بذكر الله تعالى، وفرحهم بعبوديته؛ ولهذا فهم أفضل من البشر الموصوفين بالشهوة والغضب، فقد وصفهم وصف فلسفي أصيل.

٤- الأفلاك تجري مجرى الأبدان للملائكة، والكواكب تجري مجرى القلوب، ونسبة البدن إلى البدن والقلب إلى القلب كنسبة الروح إلى الروح في الإشراق والصفاء[١١٥].

فالرازي بهذا القول وما ساقه من أدلة نجده يستخدم الدليل النقلي في الاستدلال فقط، وجعل الترتيب هو الدليل، كذلك يستدل على طبيعة الملك بالمعنى الفلسفي، وهذا إيغال منه في الاستدلال الفلسفي.

وفي التفسير في مواضع من تفسيره كقوله تعالى: (آمن الرسول بما أنـزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) [البقرة: ٢٨٥]، يقول: "فبدأ بذكر الله سبحانه، ثم أتبعه بذكر الملائكة؛ لأنهم هم الذين يتلقون الوحي من الله ابتداء من غير واسطة، وذلك الوحي هو الكتب، ثم إن الملائكة يوصلون ذلك الوحي إلى الأنبياء، فلا جرم كان الترتيب الصحيح هو الابتداء بذكر الله تعالى، ثم بذكر الملائكة، ثم بذكر الكتب، وفي الدرجة الرابعة بذكر الرسل"[١١٦]، ويقول في موضع آخر: "والأولى أن يقال الملك قبل النبي بالشرف والعلية، وبعده في عقولنا وأذهاننا بحسب وصولنا إليها بأفكارنا[١١٧]".

ويقول في تفسيره لقوله تعالى: (آمن الرسول بما أنـزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) [البقرة: ٢٨٥] فبين تعالى أنه لا بد في صحة الإيمان من الإيمان بهذه الأشياء، ثم بدأ بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بالكتب وربع بالرسل، وكذا في قوله: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) [آل عمران: ١٨] وقال: (إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) [الأحزاب: ٥٦]، والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة"[١١٨].

---

(١١٤) الملائكة عند ابن سينا: فقد ذكر حد الملك بأنه: "جوهر بسيط ذو حياة ونطق عقلي غير مايت وهو واسطة بين الباري عز وجل والأجسام الأرضية فمنه عقلي ومنه نفسي ومنه جسماني" تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات لابن سينا ط٢ ،دار العرب للبستاني،ص٨٩.

(١١٥) معالم في أصول الدين، للرازي ١٠٨-١٠٩، فقوله فلسفي متأثر فيه بقولهم في تأثير الأفلاك.

(١١٦) التفسير الكبير، للرازي ١٧٠/١٩.

(١١٧) المرجع السابق ٣٨٤/٢.

(١١٨) المرجع السابق ٢/ ٤٣٨.

فالرازي يقرر في تفسيره ويستدل عليه بالترتيب وبمفهوم الملك عند الفلاسفة، أن الملائكة أفضل، وذلك من خلال ما ذكر من نصوص، وعند استقرائه وذكره لأكثر من عشرين حجة نقلية وعقلية عند من يفضل الملائكة فإنه يطيل في عرضها ومناقشتها.

القول الثاني: الأنبياء أفضل من الملائكة؛ إذ يقول في كتابه المحصل: "الأنبياء أفضل من الملائكة عندنا خلافا للمعتزلة، والقاضي منا، والفلاسفة[١١٩]. "فالرازي بهذا القول يرجح أن الأنبياء أفضل، كما أن قوله ذلك يحتمل أنه حكاية لمذهب أصحابه الأشاعرة بقوله عندنا.

ويقول في كتابه المسائل الخمسون: "المسألة الثالثة والأربعون في أن الرسل عليهم السلام أفضل من الملائكة". وذكر الأدلة:

١- أنه سبحانه وتعالى أَمَر جميع الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام حيث قال: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) [البقرة: ٣٤] فهذا دليل على أن آدم عليه السلام أفضل، ولو لم يكن أفضل منهم؛ لما أمرهم الله تعالى بالسجود له، ولا يليق ذلك بالحكمة.

٢- إن الله تعالى ذكر في حق محمد عليه السلام (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) [الفتح: ٨]، وقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧]، والملائكة من العالمين فمحمد عليه السلام رحمة لهم؛ فيلزم أن يكون أفضل منهم"[١٢٠].

٣- قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) [آل عمران: ٣٣]، والملائكة من العالمين، وسواء أجريناه على العموم أو حملناه على ذلك الزمان كما في قوله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) [البقرة: ٤٧]، فالمقصود حاصل، وهذا يقتضي كونهم أفضل من كل العالمين، ولأن البشر يعرفون الله ويحبونه مع كثرة الصوارف من السهو والغضب والموانع الداخلة والخارجة، وليس للملائكة من ذلك؛ فتكون طاعة البشر أشق؛ فيكون أفضل، لقوله علية الصلاة والسلام: "أفضل العبادات أحمزها" أي: أشقها[١٢١]"[١٢٢].

---

[١١٩] المحصل للرازي ٢٢٠-٢٢١.
[١٢٠] المسائل الخمسون في أصول الدين، للرازي ٢١٧-٢١٩.
[١٢١] حديث موضوع، ذكره علي القاري في كتابه المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، وقال: قال الزركشي لا يعرف، وقال ابن القيم في شرح منازل السائرين: لا أصل له، ٥٧، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة، ط٢ ١٣٩٨، وفي كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس قال جماعة من الحفاظ: لا أصل له، وذكر أن معناه صحيح رواه مسلم في صحيحه قول عائشة: "إنما أجرك على قدر نصبك"، ١٥٥/١، للعجلوني، مكتبة القدسي القاهرة، ١٣٥١هـ.
[١٢٢] المرجع السابق ٢١٧-٢١٨-٢١٩. والمحصل ٢٢١.

فهو يصرح بهذا القول بأفضلية الأنبياء على الملائكة، ويقويه بما ورد من أدلة تجد ظاهرها العموم في الآيات، وصريح العبارة، جعلها قيدا لأفضلية منزلة الأنبياء على الملائكة بالنصوص التي وردت من كتاب الله تعالى، كما أنه يستدل بحديث موضوع على النبي عليه الصلاة والسلام.

خلاصة الأمر: من خلال الأقوال يظهر أن القول الذي استقر عليه الرازي هو: أن الملائكة أفضل من البشر، وهو ما ورد في المعالم كونه من كتبه المتأخرة، أما المحصل والمسائل الخمسون فهي متقدمة بالتأليف؛ ثم إن اضطراب الرازي وبيان تناقضه في هذه المسألة نتج بسبب استخدامه لطرق وتأويلات لا تصلح في بيان الأدلة الشرعية، وفيما يخص النبوة والملائكة من خلال تعريفه لها، كما ذكر في كتابه المطالب العالية - وهو من كتبه المتأخرة-، وتقسيمه للعالم إلى علوي وسفلي، ومحاولة تقريب الأدلة الشرعية، وتفسيرها بمعان فلسفية، وجعلها مؤيدة له، فهو يخلط بينهما كثيرا؛ مما أوقعه في التناقض والاضطراب في الاستدلال، واختلاف أقواله.

الخاتمة :

١- نجد أن تحرير الرازي للفرق بين النبي والرسول من قبيل التأويل وليس تفسيراً ولا يرتبط باللغة كما يوجد فيه اصطلاحات بدعية منها.

٢- حقيقة النبوة عند الرازي ، متناقض تارة يؤيد الفلاسفة ويقول بقولهم، وتارة ينتقد قولهم، حتى انتهى به الأمر إلى محاولة التوفيق، وبسبب محاولته واستمالته للتوفيق بين الفلسفة والشرع من خلال إثبات الملائكة والجن التي نفوها، وإمكانية ملاقاة النبي للملك ومشاهدته والسماع منه، فالذي استقر عليه في آخر كتبه تفسير النبوة بالمفهوم الشرعي.

٣- إثبات النبوة متوقف عند الرازي على قدرة وتأثير النبي في صرف قلوب الناس من الباطل للحق، وحصر صدق النبوة بإصلاح النفوس، ثم تجده يقرر أن العقل هو الحكم ، وفي ذلك تقديم مقدمات لتبرير يقوي قوله؛ ليعزز من هذا الدليل، وهذا خطأ وتناقض.

٤- اضطراب الرازي وبيان تناقضه في مسألة التفاضل بين الملائكة والأنبياء نتج بسبب استخدامه لطرق وتأويلات لا تصلح في بيان الأدلة الشرعية.

المصادر والمراجع :

١- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لأبي عبد الله بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: عثمان الأثيوبي، ط٢، ١٤١٨هـ.
٢- أحوال النفس، لابن سينا، تحقيق: أحمد الأهواني، دار بايبلون.
٣- الإشارة في علم الكلام، للرازي، تحقيق: هاني محمد، المكتبة الأزهرية للتراث ١٤٤٠هـ.
٤- التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: د عبد الله الخالدي، دار الأرقم، ط٢، ١٤١٦.
٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق علي عطية، دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٥هـ.
٦- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦هـ.
٧- شرح منازل السائرين، لابن القيم، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة، ط٢ ١٣٩٨هـ.
٨- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، ط٢.
٩- فصل المقال، لابن رشد، تحقيق: محمد عمارة الناشر: دار المعارف ط٢.
١٠-فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي.
١١-معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف وآخرين، دار المصرية، ط١.
١٢-معجم المصطلحات العلمية العربية للكندي والفارابي وابن سينا والغزالي، تحقيق فايز الداية، ط١، دار الفكر.
١٣-الملخص في المنطق والحكمة، للرازي، تحقيق: د إسماعيل خان أوغلو، ط١.
١٤-منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ.
١٥-الموافقات للشاطبي، تحقيق: أبي عبيدة آل سلمان، دار بن عفان، ط١.
١٦-النبوات، لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.